جمهورية مصر العربية	١٤ من صفر ١٤٣٩هـ
وزارة الأوقاف	٣ نوفمبر من ٢٠١٧م

(١)

دور الشباب في البناء والتعمير
ودعم الحوار الحضاري

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز:{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد**:

فممَّا لا شك فيه أنَّ الشباب هم ثروة الأمة ، وسرُّ قوتها ونهضتها ، وهم القادة وحاملو لواء المسئولية في المستقبل ، وهم الأكثر تضحية وفداء ، فقلوبهم نقية ، وعقولهم ذكية ، والأمم القوية تبنى بعقول وسواعد أبنائها ، وبوعيهم ، وفهمهم، وعطائهم وتضحياتهم في سبيلها ، وقد عبر الوحي الإلهي عن مرحلة الشباب بالقوة بين ضعفين، ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، فقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}، فالشباب مرحلة القوة والنشاط، ومظنة العمل والعطاء ، يتميز فيها الشخص بالتفتح الذهني ، والقوة البدنية ، والأمل الواسع ، والانفتاح على كل ألوان الحياة ، لا يهدأ له بال حتى يُرضي آماله ، ويحقق طموحاته ، وهو بهذه الميزات قوة دافعة في نمو الحياة وازدهارها إذا أُحسن استغلاله واستثماره في المجالات المختلفة .

ومع كون فترة الشباب جزءا من العمر ومرحلة من مراحله ، إلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) بين أن الإنسان يُسئل عنها سؤالا خاصًا ؛ لما لهذه المرحلة من أثر وأهمية في حياة الأفراد والأمم والشعوب ؛ وتنبيهًا للشباب ليجتهدوا فيها ، ويحسنوا استثمارها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ

عَنْ خَمْسٍ ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ). فإن اغتنم الشباب هذه الفترة المهمة من أعمارهم، وداوموا على الطاعة والاستقامة كانوا في منزلة عالية ومكانة سامية، فقد جعل (صلى الله عليه وسلم) الشاب الصالح يلي الإمام العادل في المنزلة يوم القيامة، فقال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ، الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ ..)،ينتظر الصلاة بعد الصلاة.

ولقد قدم لنا القرآن الكريم العديد من النماذج لشباب من الأنبياء والمرسلين، وغيرهم من الصالحين ؛ ليكونوا قدوة صالحة يقتدى بهم في القول والفعل ، فهذا خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) واجه عبدة الأصنام من قومه ، وتحداهم ، وأقام عليهم الحجة في حوار عقلاني ، وهو في سن الشباب ، قال تعالى:{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ*إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ}.

وهذا نبي الله موسى (عليه السلام) في ريعان شبابه ، حينما توجّه إلى أرض مدين، وجد أناسًا لا يتعاونون، ولا يعبأون بالضعفاء؛ كالمرأتين اللتين اضطرتهما الحاجة إلى مزاحمة الرجال، فثارت نخوته، وفطرته السليمة ، تلبية لدواع المروءة والنجدة وإغاثة الملهوف ، وفي ذلك يقول الله تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}.

وهذا يحيى (عليه السلام) نُودي ليحمل عبء الدعوة ، وينهض بالأمانة في قوة وعزم وهو في سن الشباب، لا يضعف ولا يتهاون ، ولا يتراجع عن تكاليف الرسالة ، مع ما أتاه الله من المؤهلات التي لا تتوفر إلا للشباب قال تعالى : { يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}.

ولعظم دور الشباب في حياة الأمة الإسلامية ، فقد اهتم النبي (صلى الله عليه وسلم) بغرس مبادئ العقيدة الصحيحة ، والقيم الراقية في نفوس الشباب في سن مبكرة؛ لأنهم دعائم مستقبل الأمة ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كنت خلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يومًا ، فقال: (يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ) .

وإذا كان الإسلام قد اهتم بالشباب هذا الاهتمام، وأولاه هذه العناية الفائقة فلا بد إذًا من الاستفادة اليوم من طاقات الشباب، وحسن توجيهها فيما يخدم بناء الوطن اقتصاديًا وثقافيًا، وعلميًا، وفي سائر مجالات الحياة، وهو منهج النبي (صلى الله عليه وسلم)، فهذا زيد بن ثابت (رضي الله عنهما) كان أحد كتاب الوحي الشريف، ونظرًا لما لمسه النبي (صلى الله عليه وسلم) فيه من فطنة وذكاء، وقوة حافظة أمره (صلى الله عليه وسلم) بتعلم لغة يهود فكان عند حسن ظن النبي (صلى الله عليه وسلم)، فأتقنها في وقت وجيز، فعن زيد بن ثابت (رضي الله عنهما)، قال: أمرني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال: (إِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى

كِتَابٍ). قال: (فما مرَّ بي نصفُ شهر حتى تعلمته له). قال: (فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم). وقد بزغ نجمه مجالات علمية أخرى كالقضاء، والفُتيا، وعلم الفرائض، وغيرها، مما أهله في عهد أبي بكر (رضي الله عنه) لتحمل مهمة من أعظم المهام في تاريخ الإسلام، ألا وهي جمع القرآن الكريم.

ولم يقف دور الشباب عند حد القيام بالمهام داخل المدينة بل تجاوزها ، فهذا معاذ بن جبل (رضي الله عنه) بعثه النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى اليمن سفيرًا، ومعلمًا وقاضيًا، وناشرًا لدين الله (عز وجل)، فقال له: (يَا مُعَاذُ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أهلِ الكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أنْ لا إِلَهَ إلاَّ الله، وَأَنِّي رسولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ (عزّ وجلّ) قَدِ افْتَرضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ (عزّ وجلّ) قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ) ، واستوثق النبي (صلى الله عليه وسلم) من كفاءته وقدرته في أمر القضاء والفتيا ، حين سأله : (كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ؟) ، قال: بكتاب الله ، قال: (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ). قال: فبسنة رسول الله ، قال: (فَإِنْ لَمْ تَجِدْ). قال: أجتهد رأيي ولا آلو (أي: ولا أقصر في الاجتهاد). فضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صدّره وقال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِى رَسُولَ اللَّهِ)، ولا غرو إن قلنا: إن هذا الشاب قد أنهى هذه الحياة الحافلة بكل هذا العطاء والجهد، وهو ما يزال شابًا، فقد توفي (رضي الله عنه) ولم يتجاوز الأربعين من عمره، فحري بالشباب أن ينظروا إلى هذه النماذج المضيئة نظرة إكبار وإجلال ، وأن يعلموا أن الحياة كبيرة بجلائل الأعمال .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ.

إخوة الإسلام:

إن الشباب الحقيقي قيمٌ ، وأخلاقٌ ، ونبلٌ ، ومروءةٌ ، وشهامةٌ ، وطاقةٌ ، وعملٌ ، وإنتاجٌ ، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يحث الشباب على العمل والإنتاج ، والجد والاجتهاد دعمًا لبناء المجتمع ، فالإسلام يعتبر العمل الجاد سبيلا للرقي والتقدم ويراه عبادةً يُثاب عليها فاعلها ، وقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) أن العمل المتقن النافع هو لون من الجهاد في سبيل الله .

ولعظم دور الشباب في حياة الأمة ، فقد كان النبي (صلى الله عليه و سلم) يحاورهم ، ويصوب لهم مفاهيمهم وتصوراتهم ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويدعوهم إلى تحكيم عقولهم ، وتصحيح أفكارهم وميولهم ، فقد روي أبو أُمَامَةَ (رضي الله عنه): أَنَّ غُلَامًا شَابًّا أَتَى رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ)، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَا، فَصَاحَ النَّاسُ. فَقَالَ: مَهْ.، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ): أَقِرُّوهُ ، ادْنُ. فَدَنَا حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ)، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ): أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟. قَالَ: لَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟. قَالَ: لَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ، أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟. قَالَ: لَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ، أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟. قَالَ: لَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا

يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ، أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟. قَالَ: لَا. قَالَ: وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ . فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ) يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ ، وَقَالَ : اللهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ).

وكما كان للشباب دور هام في بناء الحضارة الإنسانية فقد كان للفتيات أيضا دور بارز لا يقل أهمية في صنع التاريخ ، وذلك بالمشاركة الفعالة في الأحداث الكبرى ، والأمور العظمى التي مرت بها الأمة في تاريخها الطويل كالهجرة ، ورد العدوان ، ونشر العلم والثقافة ، والمشاركة المجتمعية في كل مناحي الحياة ، فعَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ (رضي الله عنها)، قَالَتْ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) نَسْقِي وَنُدَاوِي الجَرْحَى، وَنَرُدُّ القَتْلَى إِلَى المَدِينَةِ)، ولقد كان لأمهات المؤمنين (رضي الله عنهن) أثر علمي بالغ في تاريخ الحضارة، ولا أدل على ذلك من أن السيدة عائشة (رضي الله عنها) ، كانت مرجعًا للصحابة عندما تختلط عليهم الأمور ، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري (رضي الله عنه)، قَالَ: (مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا).

فلا شك أن على الشباب الدور الأكبر تجاه وطنه حاضره ومستقبله ؛ لذا وجب عليهم أن يتسلحوا بالعلم والمعرفة ، وأن يتمسكوا بالفكر المعتدل النابع من الفهم الصحيح للإسلام ، حتى يكونوا قادرين على مواجهة التحديات وحمل الرسالة ، وتأدية الأمانة، وقيادة سفينة النجاة والوصول بها إلى بر الأمان ، ولا يكون ذلك إلا بالجهد والاجتهاد، وعدم الركون إلى الدعة أو الراحة أو الكسل ، وأن يتذكروا قول القائل:

ومن فاتـهُ التَّعليمُ وقـتَ شبـابه *** فكبِّر عليـه أربعًـا لوفـاتـه

فَذَاتُ الْفَتَى ـ واللَّهِ ـ بالْعِلْمِ وَالتُّقَى *** إذا لم يكونَا لا اعتبار لذاتهِ

وقول الآخر:

تَعلم فليسَ المرءُ يولدُ عالمًا *** وَلَيْسَ أخو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

وإنَّ كَبِير الْقَـوْمِ لاَ عِلْمَ عِنْدَهُ *** صَغيرٌ إذا الْتَفَّتْ عَلَيهِ الْجَحَافِلُ

وإنَّ صَغيرَ القَومِ إنْ كانَ عَالِمًا *** كَبيرٌ إذَا رُدَّتْ إليهِ المحَافِلُ

وقول الآخر:

إِذَا الْمَرْءُ أَعْيَتْهُ الْمُرُوءَةُ يَافِعًا *** فَمَطْلَبُهَا كَهْلا عَلَيْهِ عَسيرُ

كما أن على الشباب أن يوسع علومه ومداركه وأفقه ، ليكون قادرًا على التواصل والحوار الحضاري ، والإسهام في تحقيق السلم العالمي بما يملكه الشباب المثقف ، الواعي بطبيعة الأديان من روح وثابة للتواصل والبناء والتعمير ، ومواجهة صناعة الموت بالأمل وصناعة الحياة.

وختامًا : فإن الشباب الواعي هو الذي يبني ولا يهدم ، ويعمر ولا يخرب ، ويقتحم الصعاب ، ويواجه التحديات بعزيمة قوية ، وروح وثابة نحو البناء والتعمير وعمارة الكون وحب الخير للناس جميعًا ، مؤمنًا بحق الجميع في الحياة الكريمة ، بغض النظر عن الدين ، أو اللون ، أو الجنس ، أو العرق .

اللهم حقق لبلادنا الأمن والأمان ، وخذ بأيدي شبابنا للبناء والتعمير

واهدهم لما فيه صلاح البلاد والعباد يارب العالمين